الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي

(حياته ومحنته)

م.د. هناء سالم ضايع*

تأريخ التقديم: 2012/8/10 تأريخ القبول: 2012/9/10

المقدمـــة

شهدت بلاد الشام خلال فترة حكم الزنكيين[1] والأيوبيين[2] نهضة علمية وثقافية واسعة النطاق من حيث نوعية العلوم، وطبيعة المؤلفات، ونشاط العلماء، وعمل المؤسسات التعليمية، فقد بذل حكامهم جهودا كبيرة سواء أكانت مادية أم معنوية في دعم وتطوير النشاط العلمي، فخصصوا أموالا لإنفاقها على العلماء ومؤسسات العلم مما ترك أثاره الايجابية على مجمل حركة العلوم وتطويرها ودفعها إلى أمام، ولاسيما العلوم الشرعية، لأنها أساس العقيدة الإسلامية.

وبفضل الموقع الجغرافي لبلاد الشام الذي شكل حلقة اتصال ومحط رحال العلماء المسلمين من شتى مشارق الأرض ومغاربها، مما فتح الأبواب أمام العلماء

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، (بيروت: 1997)، 9/ 7–14؛ وانظر كتاب: طقوش، محمد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس، ط1، (بيروت: 1995)،الكتاب كاملا.

(2) انظر كتاب: ابن واصل، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الشيال، (القاهرة: ب:ت)، الكتاب كاملا.

للإفادة من بعضهم بعضاً وتناول مختلف جوانب المعرفة بالدراسة والتحليل وتبادل الآراء والمجادلة والمناظرة فيما بينهم. [1]

ومن أولئك العلماء الذين كان لهم الأثر البارز والدور الفعال في علم الحديث وفنونه خاصة وبقية العلوم عامة هو الحافظ عبد الغني المقدسي، الذي سنتناوله بالبحث والدراسة على ضوء ما توافر لنا من معلومات عن شخصيته ومحنته، آملين التوفيق من الله في بحثنا هذا.

أولاً: إسمه ونسبه:

هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر بن إبراهيم المقول بن إسماعيل بن الأمير جعفر بن إبراهيم الإعرابي بن محمد بن الزبيني بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب،[2]

(1) خلف، غانم عبد الله، موفق الدين عبد الله بن محمد المقدسي حياته وإسهاماته العلمية 541- 620هـ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين العدد 33 لسنة 2000، 42.

(2) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة الآداب، (النجف، : 1971)، م3/19-22؛ الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق:بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت: 1986)، 21/443-471؛ تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، (بيروت: 1988)، حوادث سنة (591-600هـ)، رقم 591؛ تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ط2، (بيروت: ب:ت)، 4/ 1372؛ الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت: 2010)،15/290-291؛ اليافعي، عبدالله بن اسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، (بيروت: 1970)، 3/499؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط2،(بيروت: 1977)، 3/ 38؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة: ب:ت)، 6/185؛ الغساني، الملك الاشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، (بغداد:1975)، ص289؛ السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط1،(القاهرة: 1973)، 485؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة،ط2، (بيروت: 1979)، 4/345.

المقدسي،[1] الجماعيلي،[2] ثم الدمشقي،[3] الصالحي،[4] الحنبلي،[5] الأثري.[6]

ثانياً: مولده:

ولد بقرية جماعيل في ربيع الأخر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة،[7] وذكر عن بعض أصحابه أن مولده سنة أربع وأربعين وخمس مئة.[8] ونقل ابن

(1) المقدسي: نسبة إلى بيت المقدس التي كانت بها عائلته.

(2) الجماعيلي: نسبة إلى جماعيل من ارض نابلس من بيت المقدس. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،(بيروت: ب:ت)، 73/3.

(3) الدمشقي: لنشأته في دمشق. ابن كثير، البداية، 13/ 38.

(4) الصالحي:نسبة إلى مسجد أبي صالح الذي نزلوا فيه ونسبة إليهم لأنهم كانوا صالحين. ابن كثير، البداية، 38/13.

(5) الحنبلي: نسبة إلى دفاعه عن ابن حنبل واعتناقه المذهب الحنبلي.

(6) الأثري: نسبة إلى عنايته بالأثر، الذهبي، سير، 443/21.

(7) الذهبي، سير، 444/21،443؛ تذكرة، 1372/4؛ اليافعي، مرآة، 499/3؛ ابن كثير، البداية، 13/ 38؛ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن احمد، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، مكتبة العكيبات، ط1،(الرياض: 2005)، 375/1؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 185؛ السيوطي، طبقات، 485؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 345/4.

(8) المنذري، التكملة، 20/3.

رجب عن الضياء[1] "أن ممن كتب سيرة له أيضا: مكي بن عمر بن نعمة المصري، على الشيخ عبد الحميد بن أحمد البناء بسماعه عام ستة وعشرين وست مئة من المؤلف. قال: ولد سنة إحدى وأربعين، وذكر ابن النجار في تاريخه – على ما نقل ابن رجب – أنه سأل الحافظ عبد الغني عن مولده، فقال: إما في سنة ثلاث أو في سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وأنه قال: الأظهر أنه سنة أربع، بجماعيل في ربيع الآخر، قالت والدة الضياء، هو أكبر من أخيها الشيخ الموفق، ابن قدامة المتوفى سنة 620هـ، بأربعة أشهر من السنة نفسها أي سنة إحدى وأربعين". [2]

ثالثاً: نشأته وعلمه:

هاجر الحافظ عبد الغني إلى دمشق مع أهله مذ كان صغيرا، بعد أن استولى الصليبيون على الأرض المقدسة،[3] ثم نزلوا بمسجد أبي صالح في دمشق وانتقلوا منه إلى سفح جبل قاسيون، ولا يوجد فيه عمارة سوى دير الحوراني، فبنوا فيه المساجد والمدارس والمساكن، التي يذكر فيها اسم الله كثيراً، وينشر فيها السنة

(1) ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وهو ابن بنت خالته المتوفى سنة(643هـ)، الذهبي، تذكرة، 4/ 1405؛ الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 1974)، 3/ 426؛ المبرد، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط1، (السعودية: 2000)، 3/ 1112، غانم، موفق، 44.

(2) ذيل، 1/ 375.

(3) ابن رجب، ذيل، 2/ 5.

والحديث ومذهب السلف، حتى سُميت تلك البقعة بالصالحية[1] لصلاحهم،[2] فنشأ في بيئة علمية تقدس العلم وتهتم به سواء كانت عائلته الصغيرة أو عائلته الكبيرة فكلهم علماء ينتمون إلى الأسرة المقدسية المعروفة برجالها وعلمائها، واخذ العلم منذ صغره، باعتناء أبيه، فقرأ القران الكريم وسمع فيها الحديث من شيوخ أجلاء،[3] وتتلمذ أيضا على يد الشيخ محمد بن احمد بن قدامة المقدسي أبي عمر المتوفى سنة (607هـ)،[4] ورحل لطلب العلم في صباه إلى عدد من البلدان،[5] وتزوج الحافظ برابعة ابنة الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة، فهي أم أولاده محمد وعبد الله وعبد الرحمن وفاطمة وخلفت فاطمة إبراهيم. [6] وأولاده علماء، فـ**(محمد)** هو المحدث الحافظ الإمام الرحال عز الدين أبو الفتح، توفى سنة (613هـ)، وكان كبير القدر، و**(عبد الله)** هو المحدث الحافظ المصنف جمال الدين أبو موسى، رحل وسمع من ابن كليب وخليل الراراني، توفى سنة (629هـ)، و**(عبد الرحمن)** هو المفتي أبو سليمان، سمع من البوصيري وابن الجوزي، عاش بضعا وخمسين

(1) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين لاتكاد تخلو منهم، وأكثر أهلها نافلة البيت المقدس على مذهب احمد بن حنبل. الحموي، عبدالله بن ياقوت، معجم البلدان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ب، ت)، 5/ 176.

(2) ابن كثير، البداية، 13/ 38.

(3) ابن رجب، ذيل، 2/ 5؛ وانظر: شيوخه، 7-8.

(4) المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، مختصر سيرة النبي (ﷺ) وسيرة أصحابه العشرة، تحقيق: خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار بلنسية، ط2، (الرياض: 2003)، 18.

(5) انظر رحلته، 7.

(6) الذهبي، سير، 468/21؛ الموقع الرسمي للشيخ عبد الحق التركماني الإمام عبد الغني المقدسي. 1.

سنة توفي سنة (643هـ)،[1] وكان أخوه **(عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد)** المتوفى سنة(614هـ) عالما أيضا،[2] وابن خالته **(موفق الدين عبد الله بن احمد المقدسي)** المتوفى سنة(620هـ)،[3] هذا بعض الشيء عن أسرته بصورة مبسطة لان الحديث عن هؤلاء الشيوخ طويل يحتاج منى إلى بحوث مستقلة.

رابعاً: صفته وأخلاقه:

كان الحافظ يميل إلى السمرة، ليس بالأبيض الأمهق، حسن الشعر كثيف اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وضعف بصره من كثرة البكاء والنسخ والمطالعة، وكان حسن الخلق. [4]

وتميز بغزارة الحفظ وهو من أهل الإتقان والتجويد، قيما بجميع فنون الحديث، عارفا بقوانينه، وأصوله وعلله، وصحيحه، وسقيمه، وناسخه ومنسوخه وغريبه، وشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته، ومعرفة أحوالهم،[5] إليه انتهى حفظ الحديث متنا وإسنادا ومعرفة. [6]

---

(1) الذهبي، سير، 468/21.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، ط1، (حيدر أباد الدكن: 1951)، 8/ 586؛ المنذري، التكملة، 4/ 400؛ الذهبي، سير، 47/22؛ الكتبي، فوات، 10/2؛ ابن كثير، البداية، 77/13.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، 8/ 546؛ المنذري، التكملة، 3/ 326؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، الذيل على الروضتين، دار الجبل، ط2، (بيروت: 1974)، 71، ابن كثير، البداية، 13/ 58؛غانم، موفق الدين، 42ومابعدها.

(4) الذهبي، سير، 444/21؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 382.

(5) ابن رجب، ذيل، 1/ 378.

(6) اليافعي، مرآة، 3/ 411.

وعرف بزهده وورعه وعبادته،[1] رقيق القلب سريع الدمعة فحصل له قبول من الناس،[2] وقد وضع الله له هيبة في النفوس،[3] ما رآه أحدٌ من أهل الدين إلا أحبه ومدحه كثيرا، وذكر ان الناس يصطفون في السوق ينظرون إليه، من كثرة إعجابهم به حتى قيل فيه: لو أقام بأصبهان مدة وأراد أن يملكها لملكها.[4]

وتمسك بالأثر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر،[5] لاتاخذه في الله لومة لائم،[6] له قوة في بدنه، وكثيرا ما كان بدمشق ينكر ويكسر أواني الخمر.[7]

وعرف بجوده وكريمه، لايدخر شيئا ولا درهما، وقيل يخرج في الليل بقفات الدقيق فإذا فتحوا ترك ما معه ومضى لئلا يعرف، حتى إن كان يأتيه رزق من الأفضل فيقسمه على الناس،[8] لقد أهدي إلى بيت الحافظ مشمش فكانوا يفرقون، فقال من حينه: فرقوا[9]﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[10]

خامساً: عبادته وتضرعه:

كان لا يضيع شيئاً من وقته بلا فائدة, كان يصلي الفجر, ويقرأ القرآن والحديث, ويلقن الناس القرآن، وربما أقرأ شيئا من الحديث تلقينا، ثم يقوم فيتوضأ،

(1) ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 185؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 391.
(2) ابن كثير، البداية، 13/ 39.
(3) الذهبي، سير، 455/21.
(4) الذهبي،سير، 21/ 456.
(5) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت: 1963)، 4/ 313؛ اليافعي، مرآة، 411/3؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 345.
(6) السيوطي، طبقات، 486.
(7) الذهبي، سير، 454/21؛ ابن رجب، ذيل، 1/ 381.
(8) السيوطي، طبقات، 486.
(9) الذهبي، سير، 21/ 453.
(10) سورة ال عمران/ الآية 92.

ويصلي عدد من الركع بالفاتحة والمعوذتين ثم يتوضأ ويصلي الكثير من النوافل إلى قبيل الظهر، ثم ينام شيئاً ثم يصلي الظهر ويقبل على التسميع, تسميع المتون ويشتغل إما للتسميع بالحديث أو بالنسخ، والتسبيح إلى صلاة العصر فيصليها, ويتابع ما كان عليه حتى الغروب، إن كان صائماً أفطر وصلى المغرب، وينتقل إلى العشاء فيصليها وينام إلى نصف الليل, ثم قام كأن إنسانا يوقظه، فيصلي لحظة ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر، ربما توضأ سبع مرات أو ثمان في الليل، وقال: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه رحمة الله،[1] وقد جمع فضائل الحافظ وسيرته الحافظ ضياء الدين في جزأين. وذكر فيها: أن الفقيه مكي بن عمر بن نعمة المصري جمع فضائله أيضاً. [2]

سادساً: رحلته العلمية:

الرحلة العلمية هي مبتغى كل عالم ولابد من القيام بها خاصة في علم الحديث لأخذه من شيوخ إجلاء في الدولة الإسلامية ليزداد علما ومعرفة، فكان هذا ديدن العلماء ومنهم الحافظ عبد الغني الذي رحل إلى أكثر من بلد ليستقي العلم من شيوخهم الإجلاء في رواية الحديث علما ومعرفة، فكان جامعا للعلم والعمل، وكان رفيقه موفق الدين في الصبا وفي طلب العلم أيضا، وله رحلات كثيرة منها:

1- رحلته إلى دمشق سنة(551هـ)، مع أهله وكان صغيرا فقرأ القران الكريم وسمع الحديث من شيوخها. [3]

(1) الذهبي، سير، 21/ 452-453؛ ابن رجب، ذيل، 380/1.

(2) ابن رجب، ذيل، 1/ 376.

(3) الذهبي، العبر، 4/ 313؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 345.

2- رحلته إلى بغداد مع موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، سنة(560هـ)، فانزلهما الشيخ عبد القادر الكيلاني عنده، وتوسم فيهما الخير والنجابة والصلاح فأكرمهما واسمعهما، ثم توفي بعد مقدمهما بـ 50 ليلة، وكان ميل الموفق إلى الفقه، وميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال، وسمع من شيوخها. (1)

3- رحلته إلى مصر سنة(566هـ) أقام بالإسكندرية مدة عند الحافظ الكبير أبي طاهر السلفي المتوفى سنة (570هـ). (2)

4- رحلته إلى اصبهان سنة(570هـ)، فأقام بها مدة وسمع بها الكثير. (3)

سابعاً: شيوخه:

لكل عالم وطالب علم شيوخ أجلاء يستقي من مناهلهم ويرتوي بحديثهم فيخرج منهم رحيقا يملأ النفس بما تصبوا إليه من الرفعة والمراتب العليا في الآخرة قبل الدنيا، بفضل اجتهاده وطلبه للعلم حتى يصبح من علماء عصره وفي ذلك قال الرسول(ﷺ) ((العلماء ورثة الأنبياء))،(4) لذا فان الحافظ عبد الغني نوع وأجاد في أخذه العلم من هولاء الشيوخ الإجلاء ومن أماكن مختلفة ليصبح عالم عصره، ومن هولاء الشيوخ المقسمين حسب البلدان هم:

(1) الذهبي، سير، 445/21؛ ابن كثير، البداية، 38/13.

(2) ابن كثير، البداية، 13/ 38.

(3) الذهبي، العبر، 4/ 313؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 345.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط1،(ب:م: 1422)، 24/1.

1- شيوخه من دمشق:

(1) أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر (2) أبو طاهر السلفي (3) الخضر بن طاوس (4) الفضل بن البانياس (5) محمد بن حمزة بن أبي الصقر (6) أبو الفهم عبد الرحمن بن أبي العجائز (7) أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن هلال (8) سليمان بن علي الرحبي (9) الحسن بن مكي بن جعفر الصوفي (10) ابوعبدالله محمد بن حمزة بن أبي جميل.

2- شيوخه من بغداد:

(1) أبو الفتح بن شاتيل (2) نصر الله الفزاز (3) أبو الفتح البطي (4) أبو الحسن علي بن محمد الأنباري (5) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال بن علي بن حمصاء العجلي السامري الكاتب (6) هبة الله بن هلال الدقاق (7) أبو الحسن علي بن رباح الفراء (8) أبوزرعة المقدسي (9) عمر بن الفاخر (10) أحمد بن المقري الكرخي. (11) يحيى بن ثابت (12) أبو بكر بن النقور (13) أحمد بن عبد الغني الباجسرائي.

3- شيوخه من أصبهان:

(1) أبو الفضائل عبد الرحيم بن محمد بن الكاغذى (2) أبو موسى المديني (3) أبو الوفاء محمود بن حمكا (4) أبو الفتح الخرقي (5) ابن ينال الترك (6) محمد بن عبد الواحد الصائغ (7) حبيب بن إبراهيم الصوفي (8) مسعود الجمال (9) أبو المكارم اللبان.

4- شيوخه من مصر:

(1) أبو القاسم البوصيري (2) محمد بن علي الرحبي (3) عبد الله بن بري النحوي (4) عزالدين عبد الرحمن (5) ضياء الدين (6) الشهاب القوصى (7) عبد الرحمن بن محمد.

5- شيوخه من الإسكندرية:

(1)الحافظ السلفي وأكثر عنه، حتى قيل: لعله كتب ألف جزء. [1]

6- شيوخه من الموصل:

(1)أبو الفضل الطوسي.

7- شيوخه من همدان:

(1) عبد الرزاق بن إسماعيل القرماني(2) والحافظ أبو العلاء[2]

ثامناً: تلاميذه:

لكل عالم من العلماء تلاميذ يأخذون عنه العلم والمعرفة من مختلف صنوف العلم سواء تلاوة القران الكريم وتفسيره أو رواية الحديث سندا ومتنا، والتمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة وغير ذلك من علوم الحديث، وهو مبتغى كل طالب علم، والحافظ عبد الغني واحد من هذه النخب التي انهال عليها طلاب العلم واخذوا عنه الكثير من هؤلاء الطلاب:

(1) الحنبلي، ذيل، 1/ 375

(2) الحنبلي، ذيل، 1/ 375

(1) موفق الدين(2) والحافظ عز الدين محمد (3) والحافظ أبو موسى عبد الله(4) والفقيه أبو سليمان أولاده(5) والحافظ الضياء(6) والخطيب سليمان بن رحمة الاسعردي(7) والبهاء عبد الرحمن(8) والشيخ الفقيه محمد اليونيني(9) والزين بن عبد الدائم(10) وأبو الحجاج بن خليل(11) والتقي اليلداني(12) والشهاب القوصي(13) وعبد العزيز بن عبد الجبار القلانسي(14) الواعظ عثمان بن مكي الشارعي(15) وأحمد بن حامد الارتاحي(16) وإسماعيل بن عبد القوي بن عزون(17) وأبو عيسى عبد الله بن علاق الرزاز، وخلق آخرهم موتا سعد الدين محمد بن مهلهل الجيني. وروى عنه بالاجازة أحمد بن أبي الخير الحداد. [1]

تاسعاً: تصانيفه:

تعد المؤلفات من الكتب من أهم الأعمال التي ميَزت العلماء في مختلف الأزمنة، لأنها أثارهم الباقية على مر العصور لاستفادة الأجيال التي تأتي بعدهم منها، وهي خير عون لنا في معرفة الكثير من الأمور التي نجهلها، وكان للحافظ عبد الغني الكم الكبير من هذه المؤلفات التي بين فيها براعته في علم الحديث والفقه والسير وغير ذلك، وسبب هذا الكم يعود إلى ما مرَّ بنا سابقا في عدم مضيعته للوقت فهو منشغلٌ في العبادة والتفسير، ومن مؤلفاته:

(1)كتاب **(المصباح في عيون الأحاديث الصحاح)** مشتمل على أحاديث الصحيحين، فهو مستخرج عليهما بأسانيده في ثمانية وأربعين جزءا،(2) كتاب **(نهاية المراد من كلام خير العباد)** في السنن، نحو مئتي جزء لم يبيضه،(3) كتاب **(اليواقيت)** مجلد،(4) كتاب **(تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين)** مجلد،(5) كتاب **(الآثار المرضية في فضائل خير البرية)** أربعة أجزاء،(6) كتاب

(1)الذهبي، سير، 21/ 446.

(**الروضة**) أربعة أجزاء،(7) كتاب (**الذكر**) جزأن، (8) كتاب (**الأسرار**) جزأن،(9) كتاب (**التهجد**) جزآن،(10) كتاب (**الفرج**) جزآن،(11) كتاب (**الصلات من الإحياء إلى الأموات**) جزآن،(12) (**الصفات**) جزآن،(13) كتاب(**محنة الإمام أحمد**) ثلاثة أجزاء،(14) كتاب (**ذم الرياء**) جزء كبير،(15) كتاب (**ذم الغيبة**) جزء ضخم،(16) كتاب (**الترغيب في الدعاء**) جزء كبير،(17) (**فضائل مكة**) أربعة أجزاء،(18) كتاب (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) جزء،(19) كتاب (فضل رمضان) جزء،(20) كتاب (فضل الصدقة) جزء،(21) كتاب (**فضل عشر ذي الحجة**) جزء،(23) كتاب(**فضائل الحج**) جزء،(24) كتاب (**فضل رجب**)،(25) كتاب (**وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**) جزء،(26) كتاب(**الأقسام التي أقسم بها النبي صلى الله عليه وسلم**)،(27) وكتاب (**الأربعين**) بسند واحد،(28) وكتاب (**الأربعين من كلام رب العالمين**)،(29) وكتاب (**الأربعين**) آخر،(30) وكتاب (**الأربعين**) رابع،(31) وكتاب (**اعتقاد الشافعي**) جزء كبير،(32) وكتاب (**الحكايات**) سبعة أجزاء،(33) وكتاب (**غنية الحفاظ في تحقيق مشكل الألفاظ**) في مجلدين،(34) وكتاب (**الجامع الصغير لإحكام البشير النذير**) لم يتمه،(35) وخمسة أجزاء من كتاب لم يتمه، على صفة كتاب (**من صبر ظفر**)،(36) كتاب (**ذكر القبور**) جزء،(37) كتاب(**الأحاديث والحكايات**) كان يقرؤها للعامة، في المجالس تزيد على مئة جزء،(38) كتاب (**مناقب عمر بن عبد العزيز**) جزء،(39) كتاب (**مناقب الصحابة**)، عدة أجزاء، وفي وأشياء كثيرة جدا ما تمت، والجميع بأسانيده، بخطه المليح الشديد السرعة.

ومن الكتب بلا إسناد(1) كتاب(**الأحكام على أبواب الفقه**) ستة أجزاء،(2) وكتاب (**العمدة في الأحكام**) مما اتفق عليه البخاري ومسلم جزأن،(3) وكتاب (**درر الأثر على حروف المعجم**) تسعة أجزاء،(4) وكتاب (**سيرة النبي**)، [1](5) وكتاب (**النصيحة في الأدعية الصحيحة**) جزء،(6) وكتاب (**الاقتصاد في الاعتقاد**) جزء كبير،(6) وكتاب (**الأحكام الكبرى**) مجلد،(7) وكتاب(**الأحكام الصغرى**) مجلد،(8) وكتاب (**درر الأثر**) مجلد،(9) كتاب (**السيرة**) [2] جزء كبير،(10) وكتاب (**الأدعية الصحيحة**) جزء،(11) وكتاب (**تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة**) جزآن،(12) وكتاب (**الكمال في معرفة رجال**) يشمل على رجال الصحيحين وأبي داؤد والترمذي والنسائي وابن ماجة في عشر مجلدات. [3]

(1) يعتقد أن للمؤلف كتاب كبير في السيرة لم نعثر عليه ولكن هناك من إشارة إلى وجود هذه السير من خلال المؤلفات التي أخذت منها، فمثلا كتاب (المورد العذب ألهني في الكلام على سيرة عبد الغني)، لقطب الدين الحلبي عبد الكريم بن عبد النور بن منير (ت 735هـ) ق: 310 داماد إبراهيم (420)، وذكره الحافظ ابن حجر أيضاً؛ بأنه شرح للسيرة النبوية، وأثنى عليه السخاوي. وقفنا على كتاب في السير، مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشر، تحقيق: خالد عبدالرحمن بن حمد الشايع، دار بلنسية، ط2، (السعودية: 2003)، الكتاب كاملا.

(2) الذهبي، سير، 21/ 446-447؛ العبر 4/ 180؛ تذكرة، 1401/4؛ ابن رجب، الذيل، 1/ 384-385؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، 4/ 207.

(3) الصفدي، الوافي، 15/ 291-292؛ الذهبي، سير، 446/21- 447 ؛ابن رجب، ذيل، 1/ 384-385؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات،207/4؛.

عاشراً: عقيدته:

العقيدة[1] كلمة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، دالة على المقصود في هذا الموضع على أتم ما يكون، وأهل العلم من السلف أطلقوا هذا الوصف على أصول الإيمان لأنه **مطلوب** من المسلم أن يربط عليها قلبه، ويوثق عليها جنانه، وأن يكون إيمانه بها إيمانا جازما لاشك فيه ولا ريب ولا تردد، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [2] أي أيقنوا ولم يشكوا. [3]

كانت عقيدة الحافظ عبد الغني عقيدة السلف الصالح ومنها الإيمان بآيات وأحاديث الصفات وإثباتها لله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، وهكذا كان السلف من الصحابة والتابعين، يثبتون لله جل وعلا ما أثبته لنفسه وأثبته رسوله (ﷺ) من صفات الله سبحانه، فمتى ورد النص من الكتاب الكريم أو السنة الصحيحة بإثبات صفة أو نفيها فلا يجوز لأحد العدول عن ذلك إلى رأي أو قياس.[4]

فدور الحافظ في هذه العقيدة إنما هو في جمعها، وترتيبها، وتنظيمها، وليس فيها شيء أنشأه من قبل نفسه، وإنما استند إلى دليل وهو كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، فقال:" إن العقيدة إنما تبنى ويقام أمرها على كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)، وإنها إن لم تكن كذلك أخذت بصاحبها إلى سبيل الردى والهلاك ". [5]

---

(1) العقيدة: إن العقيدة أو الاعتقاد مأخوذ في اللغة من العقد، وهو الربط والحزم والشد والتوثيق، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط1، (بيروت: 1990)، 5/ 296-297.

(2) سورة الحجرات، الآية/ 15.

(3) البدر، عبد الرزاق عبد المحسن، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي،غراس للنشر والتوزيع، ط1،(الكويت: 2003)، 13.

(4) المقدسي، مختصر، 20.

(5) البدر، تذكرة، 15.

إلا أن هذه العقيدة التي انتهجها وسار عليها في حياته أدت به إلى محن كبيرة لكنها لم تغير موقفه الذي اتسم بالصلابة والشدة في الرد على مخالفيه. (1)

أحد عشر: أقوال العلماء فيه:

كان الحافظ عبد الغني واحدا من علماء الحديث وحفاظه عارفا بمصطلحات ورواته الذين زخر بهم ذلك العصر، فكان إمام عصره في الفقه وعلم الحديث، ولعلمه وبراعته فيه اثر كبير في العلماء خاصة معاصروه، ومن أتى من بعدهم فاثنى عليه الكثير ومن هؤلاء:

ما قال ابن النجار: كان أمير المؤمنين في الحديث. (2) وقال موفق الدين:" كان الحافظ عبد الغني جامعا للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل". (3)

وقال التاج الكندي: " لم يكن بعد الدار قطني مثل الحافظ عبد الغني". (4)

أما الإمام أبو ربيعة بن الحسن اليمني الشافعي قال: "قد رأيت الحافظ السلفي، والحافظ أبا موسى، وكان الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد أحفظ منهما".

وذكر أبو نزار ربيعة الصنعاني: "قد حضرت الحافظ أبا موسى وهذا الحافظ عبد الغني، فرأيت عبد الغني أحفظ منه". وانشد فيه شعرا قال:

---

(1) انظر: محنته، 15.

(2) الصفدي، الوافي، 15/ 291.

(3) الذهبي، سير، 455/21؛ ابن رجب، الذيل، 1/ 380.

(4) الذهبي، سير، 21/ 448؛ ابن رجب، ذيل، 1/ 377.

يا اصدق الناس في بدو وفي حضر وأحفظ الناس فيم قالت الرسل

إن يحسدوك فلا تعبأ بقائلهم هم الغثاء وأنت السيد البطل [1]

يقول أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ" ما رأيت الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ، فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرضني". [2]

وقال الفقيه نجم بن عبد الوهاب الحنبلي وقد حضر مجلس الحافظ: "يا تقي الدين والله لقد جملت الإسلام، واقسم والله، لو أمكنني ما فارقت مجلسا من مجالسك". [3]

وقال محمود بن سلامة التاجر الحراني:" كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا قليلا، بل يصلي ويقرأ ويبكي". [4]

وقال ضياء الدين: " كان شيخنا الحافظ لا يكاد يسأل عن حديث إلا ذكره وبينه". [5]

قال أيضا: "رأيت بخط الحافظ والملك العادل اجتمعت به، وما رأيت منه إلا الجميل، فأقبل علي، وقام لي، والتزمني، ودعوت له ثم قلت: عندنا قصور هو الذي يوجب التقصير، فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور، وذكر أمر السنة فقال:

(1) ابن رجب، ذيل، 1/ 377.
(2) الذهبي، سير، 21/ 449.
(3) ابن رجب، ذيل، 1/ 379.
(4) الذهبي، سير، 21/ 451.
(5) الذهبي، سير، 21/ 443.

ما عندك شئ تعاب به لا في الدين ولا الدنيا، ولا بد للناس من حاسدين". [1] و قال أيضا: "وكان يستعمل السواك كثيرا حتى كأن أسنانه البرد". [2]

وذكر يوسف بن خليل بحلب عن عبد الغني: " كان ثقة، ثبتا، دينا مأمونا، حسن التصنيف، دائم الصيام، كثير الإيثار، كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دعي إلى أن يقول: لفظي بالقران مخلوق، فأبى، فمنع من الحديث بدمشق". [3]

وذكر بدر بن محمد الجزري: "ما رأيت أحدا أكرم من الحافظ، كنت أستدين يعني لأطعم به الفقراء، فبقي لرجل عندي ثمانية وتسعون درهما فلما تهيأ الوفاء أتيت الرجل فقلت: كم لك ؟ قال: ما لي عندك شئ !، قلت: من أوفاه ؟ قال: قد أوفي عنك، فكان وفاه الحافظ وأمره أن يكتم عليه".

ويقول سليمان الاسعردي: "بعث الأفضل ابن صلاح الدين إلى الحافظ بنفقة وقمح كثير ففرقه كله".

يقول أحمد بن عبد الله العراقي، حدثني منصور الغضاري قال:" شاهدت الحافظ في الغلاء بمصر وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوي". [4]

إثنا عشر: كراماته:

الكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرم والكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة

(1) الذهبي، سير، 21/ 454.
(2) ابن رجب، ذيل، 1/ 380.
(3) ابن رجب، ذيل، 1/ 378.
(4) الذهبي، سير، 457/21.

يكون معجزة،[1] والكرامة حق لا يدفع، يختص الله بها من عباده من يشاء، وخوارق العادة لا تستعصي على الله تعالى. [2]

والحافظ عبد الغني واحد من الناس اختصه الله تعالى بكرامات كتبها من ترجم له، فذكر عن محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي قال: سألت الحافظ، فقلت: هؤلاء المشايخ يحكى عنهم من الكرامات ما لا يحكى عن العلماء، إيش السبب في هذا؟ فقال: اشتغال العلماء بالعلم كرامات كثيرة– أو قال: يريد للعلماء كرامة أفضل من اشتغالهم بالعلم– وقد كان للحافظ كرامات كثيرة.

ذكر بدران بن أبي بكر بن علي بن سرور:" أن الحافظ قام ليلة ليتوضأ على البركة، وماؤها مقطوع فقال: ما كنت اشتهي الوضوء إلا من البركة، ثم صبر قليلا، فإذا الماء قد خرج من الأنبوب، فانتظر حتى فاضت البركة، ثم انقطع الماء فتوضأ، فقلت: هذه والله كرامة لك، قال لي: قل: استغفر الله هذا الماء لعله كان محتبسا، لاتقل هذا".

ذكر أنه دخل على الملك العادل بمصر، فلما رآه قام له، فلما كان اليوم الثاني من دخوله عليه، إذ الأمراء قد جاءوا إلى الحافظ بمصر، فقالوا: آمنا بكرامتك ياحافظ، وذكروا أن العادل قال: ما خفت من احد، ما خفت من هذا، فقلنا: أيها الملك، هذا رجل فقيه، قال: لما دخل ما خيل إلي إلا انه سبع يريد أن يأكلني، فقلنا: هذه كرامة الحافظ. [3]

---

(1) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، (بيروت: 1405)، 235؛ المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط1، (بيروت: 1410)، 601-602.

(2) الذهبي، سير، 144/6.

(3) ابن رجب، ذيل، 1/ 381-382.

وقال ابنه أبو موسى بن عبد الغني:" كنت مع والدي بمصر وهو يذكر فضائل سفيان الثوري، فقلت في نفسي: إن والدي مثله، قال: فالتفت إلي وقال: أين نحن من اؤلئك". [1]

وذكر انه" نزل بالقدس عند جماعة، وكان في دارهم صهريج قد نقص ماؤه فقال الحافظ: قد ضيقنا عليكم في الماء، جعل الله فيه البركة، فلما كان الفجر إذا بالماء قد زاد نحو أربعة اذرع". [2]

وذكر "أن رجلاً بأصبهان أضافه، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معه، فلما قاما إلى الصلاة لم يصل، فقال: ما له ؟ قالوا: هذا رجل شمسي فضاق صدره، وقال للرجل: ما أضفتني إلا مع كافر !، فقيل له: إنه كاتب، ولنا عنده راحة، ثم قمت بالليل أصلي وذاك يستمع، فلما سمع القران تزفر، ثم اسلم بعد أيام، وقال: لما سمعتك تقرأ القران وقع الإسلام في قلبي".[3]

ثلاثة عشر: محنته (تعرضه للابتلاء):

المحنة: البلاء والشدة،[4] ومِحْنَة وهي البليَّة والمُصيبة، المَحْن: الاختبار،[5] ومعنى ابْتِلاءً بمعنى امتحنه،[6] وقول الله تعالى:﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ الآيَاتِ

(1) الذهبي، تاريخ، 136.

(2) ابن رجب، ذيل، 383/1.

(3) الذهبي، سير، 453/21-454؛ ابن رجب، ذيل، 1/ 380.

(4) ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (ب: ت)، 856/2.

(5) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (ب: م: 1979)، 302/5.

(6) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، (بيروت: ب: ت)، 62/1.

مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾ [1] البلاء يكون حسنا ويكون سيئا وأصله المحنة والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره، [2] لقول الله تعالى: ﴿ فلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [3] البلاء ههنا النعمة،[4] ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [5].

تعرض الحافظ عبد الغني للابتلاء لما صدع بالحق وحرص على إظهار السنة والعمل بما جاء عن الرسول (ﷺ)، وظهرت فتنة كبيرة في دمشق،[6] فثار عليه مخالفوه من الولاة، ومتعصبة الفقهاء، ومنحرفوا العقيدة، ومن بعض الناس، فابتلي الحافظ بمحن كثيرة لم تغير موفقه بل زاد صلابة وإيمان لاقتناعه الكامل بما يقوله نتيجة علمه ومعرفته الواسعة بعلوم الدين، وكان يقول: "سألت الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته، ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي كثيرا". [7]

يقول الإمام أبو محمد عمر بن سالم بن محمد الأنصاري المعبر: "رأيت في النوم– يعني: قبل الفتنة التي جرت للحافظ– كأن قائلاً يقول لي: يمنع الحافظ من القراءة، ويجري على أصحابه شدة، ويمشي إلى مصر وبها يموت، وهو من الأربعة، والشيخ أبو عمر– وسمى رجلين من العراق– ولم أحفظ أسماءهما. فلما

(1) سورة الدخان، الآية/33.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض: 2003)،1/ 387.

(3) سورة الأنفال، الآية/ 17.

(4) القرطبي، الجامع، 386/6.

(5) سورة البقرة، الآية/49.

(6) اليافعي، مرآة، 125/2.

(7) المقدسي، مختصر، 19.

انتبهت جاءني رجل، فقال لي: الحال مثلى ما رأيت في النوم، ولم أرجع أره بعد ذلك". [1]

كان يحدث وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات والقران بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا عليه"، [2] وأول محنة كانت له في اصبهان، فيقال أن أبا نعيم [3] " قد أخذ على ابن مندة[4] أشياء في كتاب (الصحابة) فكان الحافظ أبو موسى المديني[5] يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم في كتابه الذي في الصحابة فما كان يحسن، فلما قدم الحافظ عبد الغني أشار إليه بذلك، فقال: فأخذ على أبي نعيم نحوا من مائتين وتسعين موضعا، فلما سمع بذلك الصدر عبد اللطيف بن الخجندي،[6] وذلك أن بيت الخجندي أشاعرة، كانوا يتعصبون لابي نعيم، وكانوا رؤساء البلد، فطلب الحافظ وأراد إهلاكه، وما أخرج الحافظ من أصبهان إلا في إزار". [7]

أما في الموصل، قال محمود بن سلامة، سمعت الحافظ يقول: "كنا بالموصل نسمع (الضعفاء) للعقيلي، فأخذني أهل الموصل وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر أبي حنيفة فيه. فجاءني رجل طويل ومعه سيف، فقلت يقتلني

(1) ابن رجب، ذيل، 383/1- 385.

(2) الصفدي، الوافي، 19/15، 291.

(3) صاحب (تاريخ أصبهان) و (الحلية) المتوفى سنة(430هـ).

(4) أبو عبد الله محمد بن إسحاق المتوفى سنة (395هـ).

(5) المديني الاصبهاني المتوفى سنة (581هـ).

(6) صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان المتوفى سنة(523هـ) انظر الذهبي، سير، 21/ 458.

(7) الذهبي، سير، 21/ 458؛ ابن كثير، البداية، 13/ 39.

وأستريح، قال: فلم يصنع شيئا، ثم أطلقوني ولو لا البرهان بن البرقي الواعظ خلصه لقتلوه". [1]

لما قدم دمشق من الموصل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس إليه وحصل له قبول، فكان سريع الدمعة كما ذكرنا سابقا، فحسده الدماشقة، وفيها وقعت فتنة كبيرة ضد الحافظ عبد الغني المقدسي، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي فذكر يوما شيئا من العقائد، فأمروا الناصح ابن الحنبلي[2] بأن يجلس يعظ تحت قبة النسر من جامع دمشق الأموي يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ، فأول ذلك أن الناصح والحافظ أرادا أن يختلفا الوقت، فاتفقا أن الناصح يجلس بعد صلاة الجمعة، وأن يجلس الحافظ بعد العصر، فدسوا إلى الناصح رجلا ناقص العقل من بني عساكر فقال للناصح في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر، فضرب وهرب، فتمت مكيدتهم، ثم جمعوا كبراءهم فاجتمع القاضي ابن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولقي الشافعي خطيب جامع دمشق في زمن السلطان الأفضل،[3] والأمير صارم الدين برغش ومشوا إلى الوالي السلطان المعظم وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا، ونحو هذا، وقالوا: نشتهي أن تحضر عبد الغني، فانحدر إلى المدينة موفق الدين عبد الله بن احمد، وأبو العباس احمد البخاري، وجماعة، وقالوا: نحن نناظرهم، وقالوا للحافظ: لا تجئ فإنك حاد[4] ونحن نكفيك، فاتفق أنهم أخذوا

(1) الذهبي، سير، 21/ 460؛ ابن رجب الحنبلي، ذيل، 1/ 386.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري الشيرازي الدمشقي المتوفى سنة (634هـ).

(3) مجير الدين، العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: يونس عبد المجيد نباته، مكتبة وندبس، (عمان: 1999)، 393/1.

(4) يعني حاد، من الحدة، وهو ما يعتري الإنسان من النزق والغضب. ابن منظور، لسان،140/3.

الحافظ وحده، ولم يدر أصحابه فناظروه، وكانوا قد اخذوا عليه مواضيع منها قوله: ولا أنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول، وقوله: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان. ومنها: مسالة الحرف والصوت، فقالوا له: إذ لم يكن على ما قد كان، فقد اثبت له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيها تنفي حقيقة النزول، فقد أجزت عليه الإثقال. وأما الحرف والصوت، فانه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه: انه كلام الله عز وجل غير مخلوق. وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلال، وأنت على حق؟ قال نعم. [1]

وكتبوا واحتد وكانوا قد كتبوا شيئا من الاعتقاد، خطوطهم فيه وقالوا له: اكتب خطك فأبى، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم، واستأذنوه في رفع منبره، فبعث جماعة من أعوان الوالي من الشرطة أو الجيش. فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين،[2] وقالوا: نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية وكسروا منبر الحافظ، ومنعوه من الصلاة ففاتت صلاة الظهر، ثم إن الناصح بن الحنبلي جمع السوقة[3] وغيرهم وقالوا: إن لم يخلونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم، فبلغ ذلك القاضي، وكان صاحب الفتنة، فأذن لهم، وحمى الحنفية مقصورتهم، ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك، فأقام بها مدة، فقال له أهلها: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فقال: لا، وتوجه إلى مصر فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث، وجاء شاب

(1) ابن رجب، ذيل، 1/ 387؛ الذهبي، سير، 21/ 459، 462-463؛ ابن كثير، البداية، 20/13.

(2) الدرابزين: كلمة أصلها يونانية، وهو حاجز على جانبي السلم أو غيره يستعين به الصاعد ويحميه من السقوط. مصطفى، المعجم، 277/1.

(3) الذهبي، سير، 21/ 460-461.

من دمشق بفتاوى إلى صاحب مصر الملك العزيز عثمان[1] ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا مما يشنعون به عليهم، فقال – وكان يتصيد، إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة، فاتفق أنه شب به الفرس، فسقط فخسف صدره، فأقيم ابنه صبي، فجاء الأفضل بن صلاح الدين من صرخد، وأخذ مصر وعسكر وكر إلى دمشق، فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق فأكرمه إكراما كثيرا، وبعث يوصي به بمصر فتلقي الحافظ بالإكرام، وأقام بها يسمع الحديث بمواضع، وكان بها كثير من المخالفين، وحصر الأفضل دمشق حصرا شديدا، ثم رجع إلى مصر، فسار العادل عمه خلفه فتملك مصر، وأقام، وكثر المخالفون على الحافظ، فاستدعي، وأكرمه العادل، ثم سافر العادل إلى دمشق، وبقي الحافظ بمصر، وهم ينالون منه، حتى عزم الملك الكامل على إخراجه واعتقل في دار أسبوعا، فقال: ما وجدت راحة في مصر مثل تلك الليالي. [2]

وفي سنة ستة وتسعين وخمس مئة كان ما اشتهر من أمر الحافظ عبد الغني وإصراره على ما ظهر من اعتقاد واجتماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره، وانه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسال أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب. [3]

أربعة عشر: موقف الفقهاء من هذه المحنة:

أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره وأنه مبتدع، و كيف يقع الإجماع، وهو أحفظ أهل وقته للسنة، وأعلمهم بها وهو المخالف؟ وما أحسن ما قال فيه أبو بكر قاضي القضاة الشامي الشافعي، لما عقد له مجلس ببغداد، وناظره الغزالي، واحتج عليه بأن الإجماع منعقد على خلاف ما عملت به، فقال الشامي: إذا كنت أنا

(1) مجير الدين، الأنس، 1/ 398.

(2) الذهبي، سير، 21/ 452-463؛ ابن رجب، ذيل، 1/ 387.

(3) الذهبي، سير/21/ 460-461.

الشيخ في هذا الوقت أخالفكم على ما تقولون، فبمن ينعقد الإجماع؟ بك، وبأصحابك؟ هذا مع مخالفة فقيه الإسلام في وقته الذي يقال: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه، ومعه خلق على أئمة الفقهاء، والمناظرين والمحدثين، هذا في الشام خاصة، دعا المخالفين لهؤلاء المجتمعين في سائر بلاد المسلمين- بغداد ومصر وغيرهما من أمصار المسلمين- مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم، ولم يكن في المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والآثار.

وعقد مرة مجلس لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية (ت 728هـ)، فتكلم فيه بعض أكابر المخالفين، وكان خطيب الجامع، فقال الشيخ شرف الدين عبد اللّه أخو الشيخ: " كلامنا مع أهل السنة، أما أنت: فأنا أكتب لك أحاديث من الصحيحين، وأحاديث من الموضوعات- وأظنه قال: وكلاماً من سيرة عنتر- فلا تميز بينهما- أو كما قال- فسكت الرجل.

وأما قولهم: لا إن بني الحنبلي، وافقوا الجماعة، فهذا إما أن يكون صحيحاً، أو غير صحيح، فإن كان صحيحاً، فهو تقية ونفاق منهم، وإلا فكلام بني نجم الدّين الحنبلي، وكلام أبيهم في إثبات الصوت كثير موجود. (1)

وأما قوله: ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول فإن صح هذا عنه، فهو حق، وهو كقول القائل: لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة وجوده، أو حقيقة كلامه، أو حقيقة علمه، أو سمعه وبصره، ونحو ذلك.

وأما المكان: ففيه نزاع وتفصيل. وفي الصحيحين: إثبات لفظ المكان.

وأما الانتقال: ففيه جوابان.

(1) ابن رجب، ذيل، 388/1.

أحدهما: لا نسلم لزومه، فإن نزوله ليس كنزول المخلوقين، ولهذا نقل عن جماعة من الأئمة: أنه ينزل، ولا يخلو منه العرش.

الثاني: أن هذا مبني على إثبات الأفعال الاختيارية، وقيامها بالذات. وفيها قولان لأهل الحديث المتأخرين من أصحابنا وغيرهم وأما إنكار إثبات الصوت عن الإمام الذي ينتمي إليه الحافظ، فمن أعجب العجب، وكلامه في إثبات الصوت كثير جداً.

قال عبد اللّه ابن الإمام أحمد في كتاب السنة "سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم اللّه موسى لم يتكلم بصوت. فقال أبي: بلى، تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت". والمقصود ههنا: الإشارة إلى ما وقع في حق الحافظ، من التحامل عليه، والتعصب.

ويقول الذهبي– رداً على من نقل الإجماع على تكفيره– أما قول أجمعوا فما أجمعوا، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفروه، وكفرهم هو، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين: من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة، لا على المجاز، أعني أنها تجري على مواردها، لا يعبر عنها بعبارات أخرى، كم فعلته المعتزلة، أو المتأخرون من الأشعرية. هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء". (1)

وقال الذهبي أيضا: " قد بلوت على أبي المظفر المجازفة وقلة الورع فيما يؤرخه والله الموعد، وكان يترفض، رأيت له مصنفا في ذلك فيه دواهٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره كما زعم لما وسعهم إبقاؤه حيا، فقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد والشيخ موفق الدين، وأخوه القدوة الشيخ أبو عمر، والعلامة شمس الدين البخاري، وسائر الحنابلة، وعدة من أهل الأثر، وكان بالبلد أيضا خلق من العلماء لا يكفرونه، نعم، ولا يصرحون بما أطلقه من العبارة لما ضايقوه، ولو

(1) سير، 21/ 460؛ وانظر: ابن رجب، ذيل، 389/1.

كف عن تلك العبارات، وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم، فهو الأولى، فما في توسيع العبارات الموهمة خير، وأسوأ شئ قاله أنه ضلل العلماء الحاضرين، وأنه على الحق، فقال كلمة فيها شر وفساد وإثارة للبلاء، رحم الله الجميع وغفر لهم، فما قصدهم إلا تعظيم الباري عز وجل من الطرفين، ولكن الأكمل في التعظيم والتنزيه الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف رضي الله عنهم".[1]

وكذلك نرى ما قاله الملك الكامل عنه في رواية جاءت على لسان الشجاع بن أبي زكريا الأمير قال:" قال لي الملك الكامل يوما: ها هنا فقيه قالوا إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو محدث، قلت: لعله الحافظ عبد الغني ؟، قال: هذا هو، فقلت: أيها الملك، العلماء أحدهم يطلب الآخرة، وآخر يطلب الدنيا، وأنت هنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك أو أرسل إليك شفاعة أو رقعة يطلب منك شيئا ؟، قال: لا. فقلت: والله هؤلاء يحسدونه، فهل في هذه البلاد أرفع منك ؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس، فقال: جزاك الله خيرا كما عرفتني، ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به، فطلبني فجئت، وإذا عنده شيخ الشيوخ ابن حمويه، وعز الدين الزنجاري،[2] فقال لي السلطان: نحن في أمر الحافظ، فقال: أيها الملك القوم يحسدونه، وهذا الشيخ بيننا – يعني شيخ الشيوخ – وحلفته هل سمعت من الحافظ كلاما يخرج عن الإسلام؟ فقال: لا والله وما سمعت عنه إلا كل جميل، وما رأيته، وتكلم ابن الزنجاري فمدح الحافظ كثيرا وتلامذته، وقال: أنا أعرفهم، ما رأيت مثلهم، فقلت: وأنا أقول شيئا آخر: لا يصل إليه مكروه حتى يقتل

(1) سير، 21/ 460–461؛ ينظر: ابن رجب، ذيل، 390/1.

(2) الزنجاري: وهو عز الدين عثمان بن عبد العزيز الزنجاري الأمير (انظر تلخيص مجمع الآداب لابن ألفوطي: 4، الترجمة 300).

من الأكراد ثلاثة آلاف، قال: فقال: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب خطك بذلك،[1] فكتب كذا؛ لقول لله كذا، وأقول كذا، لقول رسول الله كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل، قال: إيش في هذا؟. يقول بقول الله عز وجل، وقول رسوله (ﷺ). قال: فخلى عنه. وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث". [2]

ورغم هذه المحنة التي تعرض لها الحافظ عبد الغني إلا أن بعض العلماء والفقهاء لا يكفرونه ولا يصرحون بما أطلقه، فهو من أهل الدين والعلم وقول الحق لا يخاف في الله لومة لائم، ومحاسنه كثيرة والتأله والصدع بالحق، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء، ونبرأ من كل مجسم ومعطل. [3]

خمسة عشر: ذكر شيء من فتاوى الحافظ عبد الغني ومسائله:

وحتى نقف على جوانب من علمه التي تبين صدقه ومنزلته بين العلماء وانه اتبع السنة والأثر الصالح في قول الحق وموقفه من المخالفين له فهذا شيء من فتاويه التي تعطي صورة واضحة عن عقيدته الصحيحة التي اتخذها، ومنها: "ما كتبه السيف بن المجد سئل عن حديث: "من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة" هل هو منسوخ؟.

فأجاب:" بل هو محكم ثابت، لكن زيد فيه وضم إليه شروطا أخر، وفرائض فرضها على عباده. وذكر قول الزهري في ذلك".

وسئل عمن كان في زيادة من أحواله، فحصل له نقص؟ فأجاب: "أما هذا، فيريد المجيب عنه أن يكون من أرباب الأحوال وأصحاب المعاملة، وأنا أشكو إلى الله تقصيري وفتوري عن هذا وأمثاله من أبواب الخير. وأقول: وبالله التوفيق: إن

(1) الذهبي، سير، 21/ 459.

(2) ابن رجب، ذيل، 388/1.

(3) الذهبي، سير، 21/ 463-464.

من رزقه الله خيراً من عمل أو نورِ قلب، أو حالة مرضية في جوارحه وبدنه، فليحمد الله عليها، وليجتهد في تقييدها بكمالها، وشكر الله عليها، والحذر من زوالها بزلة أو عثرة. ومن فقدها فليكثر من الاسترجاع، ويفزع إلى الاستغفار والاستقالة، والحزن على ما فاته، والتضرع إلى ربه، والرغبة إليه في عودها إليها، فإن عادت، وإلا إليه ثوابها وفضلها إن شاء الله تعالى".

وسئل مرة أخرى في معنى ذلك؟

فأجاب: "أما فقدان ما نجده من الحلاوة واللذة، فلا يكون دليلاً على عدم القبول فإن المبتدئ يجد ما لا يجد المنتهى، فإنه ربما مَلَّت النفس وسئمت لتطاول الزمان، وكثرة العبادة. وقد روى عن رسول الله (ﷺ): أنه كان ينهى عن كثرة العبادة والإفراط فيها، ويأمر بالاقتصاد، خوفاً من الملَل. وقد روى "أن أهل اليمن لما قدموا المدينة جعلوا يبكون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا حتى قست القلوب". (1)

وسئل عن يزيد بن معاوية؟" فأجاب: خلافته صحيحة. قال: وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم ابن عمر. وأما محبته: فمن أحبه فلا ينكر عليه، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله (ﷺ)، فيلتزم محبتهم إكراماً لصحبهم وليس ثمَّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه. وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه؛ خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسدّاً لباب الفتنة".

وقال: روى عن إمامنا أحمد: أنه قال: "من قال: الإيمان مخلوق، فهو كافر ومن قال: قديم، فهو مبتدع. قال: وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من

(1) ابن رجب، ذيل، 1/398-399.

الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله عز وجل. ومن قال بخلق ذلك كفر. وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون، ومن قال بقدم ذلك ابتدع". [1]

أخبرنا الإمام عبد الحافظ بن بدران بنابلس، أخبرنا الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد، أخبرنا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد، حدثنا أبو طاهر السلفي، أخبرنا أبو مسعود محمد بن عبد الله السوذرجاني، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان الحبال، اخبرنا أبو محمد[2] الفابجاني[3]، حدثنا جدي عيسى بن إبراهيم، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا سليمان بن حيان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا قرأ ابن آدم السجود [4] فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت، فلي النار). [5]

(1) ابن رجب، ذيل، 1/398–399.

(2) الذهبي، سير، 21/ 470.

(3) الفابجاني: نسبة إلى (فابجان) قرية من قرى أصبهان. الذهبي، سير، 21/ 469.

(4) في صحيح مسلم (السجدة) ومعناه آية السجدة. 1/61.

(5) حديث صحيح رواه الإمام مسلم في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (81) عن زهير بن حرب، عن وكيع، عن الاعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، عن أبي معاوية، عن الاعمش، بهذا الإسناد مثله غير أنه قال: (فأبيت على النار) وفي رواية أبي كريب (يا ويلي) بدلا من (يا ويله). ورواه الإمام أحمد في (المسند)، 2/443 عن وكيع ويعلى ومحمد، عن عبيد، عن الاعمش.

ستة عشر: وفاته:

لكل إنسان نهاية محتومة لا يعلمها إلا الله فان كان خيراً انتهت بخيره، وان كان ذو شر فالله غفور رحيم، لا يعلم ما في النفوس إلا هو، فنسأل الله تعالى العافية في ديننا الذي هو عصمت أمرنا، وبعد تلك السيرة الحافلة بالعلم والتعلم والوعظ والتوجيه والإرشاد والنصح لا تأخذه في الله لومة لائم، وتخرج علماء إجلاء في علم الحديث والسنة النبوية، فضلا عن مؤلفاته الكثيرة التي مرت علينا سابقا، ورغم الأحداث التي عصفت به، بقي على مبدئه وعقيدته حتى أتته المنية قبل أن يصدر كتاب والي مصر بنفيه إلى المغرب، وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة[1].

وقبل وفاته قال ابنه الحافظ أبو موسى: مرض والدي رحمه الله في ربيع الأول سنة ستمائة مرضاً شديداً منعه من الكلام والقيام، واشتد به مدة ستة عشر يوماً، وكنت كثيراً ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله تعالى، لا يزيد على ذلك. فلما كان يوم الاثنين جئت إليه. وكان عادتي أبعث من يأتي كل يوم بكرة بماء حار من الحمام يغسل أطرافه. فلما جئنا بالماء على العادة مدَّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله، قم فصل بنا وخفف، فقمت فصليت بالجماعة، وصلَّى معنا جالساً. فلما انصرف الناس جئت، فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة يس، فقرأتها، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن، فقلت: ههنا دواء قد عملناه تشربه؟ فقال: يا بنيّ ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله تعالى. فقلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى والله، أنا عنك راض وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك ولابن أختك إبراهيم.

(1) الدلجي، أحمد بن علي، الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الآداب، (النجف: 1385هـ)، 92-93.

وقال: أبو موسى أيضا: أوصاني أبي عند موته: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه– يعني الحديث– فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: مالي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء. قلت: توصيني بوصية. قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته. فجاء جماعة يعودونه فسلموا عليه فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، ففتح عينيه وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوها، ثم قاموا. فجعل يذكر الله، ويحرك شفتيه بذكره، ويشير بعينيه، فدخل رجل فسلم عليه، وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟ فقال: بلى، فقمت لأُناوله كتاباً من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه. وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ستمائة.

وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل، ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة، مقابل قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق في مكان ذكر لي خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان، ويبكي فيه إلى أن يبل الحصى، ويقول: قلبي يرتاح إلى هذا المكان، وألحقه بنبينا محمد (ﷺ). [1]

ورثاه غير واحد، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد المقدسي الأديب بقصيدة طويلة، أولها:

هذا الذي كنت يوم البين أحتسب فليقض دمعي عنك بعض ما يجب

يا سائرين إلى مصر بربِّكم رفقاً علي، فإن الأجر مكتسب

قالوا لساكنها: حُييت من سكن يا منية النفس، ماذا الصد والغضب؟

(1) ابن رجب، ذيل، 389/1، 392.

بالشام قوم وفي بغداد قد أسفوا لا البعد أخْلَق بلواهم ولا الحقب

قد كنت بالكتب أحياناً تعللهم فاليوم لا رسل تأتي ولا كتب

أُنسيتَ عهدهم أم أنت في جدث تسفى وتبكي عليك الريح والسحب

بل أنت في جنة تجنى فواكهها لا لغو فيها، ولا غول ولا نصب

يا خير من قال بعد الصحب "حدثنا ومن إليه التقى والدين ينتسب

لولاك مادَ عمود الدين، وانهدمت قواعد الحق، واغتال الهدى عطب

فاليوم بعدك جمر الغيّ مضطرم بادي الشرار، وركن الرشد مضطرب

فلَيبكينِّك رسول الله ما هتفت ورق الحمام، وتبكي العجم والعرب

لم يفترق بكما حال، فموتكما في الشهر واليوم هذا الفخر والحسب

أحييت سنته من بعدما دفنت وشِدْتها وقد انهدت لها رتب

وصنتها عن أباطيل الرواة لها حتى استنارت، فلا شك ولا ريب

ما زلت تمنحها أهلاً، وتمنعها من كان يلهيه عنها الثغر والشنب

قوم بأسماعهم عن سمعها صمم وفي قلوبهم من حفظها قُضب

تنوب عن جمعها منهم عمائمهم أيضاً، ويغنيهم عن عرسها اللقب

يا شامتين وفينا ما يسوؤهم مستبشرين وهذا الدهر محتسب

ليس الفناء بمقصور على سبب ولا البقاء بممدود له سبب

ما مات من عز دين الله يعقبه وإنما الميت منكم من له عقب

ولا تقوض بيت كان يعمده وتسبق الخيل تاليها، إن بعدت

علا العلى بجمال الدين بعد، كما تحيى العلوم بمحيي الدين والقرب

وتسبق الخيل تاليها، إن بعدت وغاية السبق لا تعيى له النجب

مثل الدراري السواري شيخنا أبداً نجم يغور ويبقى بعده شهب

من معشر هجروا الأوطان وانتهكوا حُمر الخطوب وأبكار العلى خطبوا

شُمُّ العرانين ملح، لو سألتهم بذل النفوس لما هابوا بأن يهبوا

بيض مفارقهم، سود عواتقهم يمشي مسابقهم من حظه التعب

نور إذا سألوا، نار إذا حملوا سحب إذا نزلوا، أسد إذا ركبوا

الموقدون ونار الحرب خامدة والمقدمون ونار الحرب تلتهب

هذا الفخار، فإن تجزع فلا جزع على المحب، وإن تصبر فلا عجب[1]

وقد أورد له الشيخ الضياء عدة منامات منها: "سمعت أحمد بن يونس المقدسي الأمين يقول: رأيت كأني بمسجد الدير وفيه رجال عليهم ثياب بيض، وقع في نفسي أنهم ملائكة، فدخل الحافظ عبد الغني، فقالوا بأجمعهم: نشهد بالله إنك من أهل اليمين مرتين أو ثلاثا".

وقال الحافظ عبد الغني: "رأيت النبي (ﷺ) في النوم وأنا أمشي خلفه إلا أن بيني وبينه رجلا".

وقال الرضي عبدالرحمن بن محمد: " رأيت كأن قائلا يقول: جاء الحافظ من مصر، فمضيت أنا والشيخ أبو عمرو العز ابن الحافظ إليه، فجئنا إلى دار ففتح الباب، فإذا الحافظ وعلى وجهه عمود من نور إلى السماء، وإذا والدته في تلك الدار". [2]

وقال الشيخ الصالح غشيم بن ناصر المصري: " لما مات الحافظ كنت بمكة، فلما قدمت قلت: أين دفن ؟ قيل: شرقي قبر الشافعي، فخرجت، فلقيت رجلا، فقلت: أين قبر عبد الغني ؟ قال: لا تسألني عنه، ما أنا على مذهبه ولا أحبه، فتركته، ومشيت، وأتيت قبر الحافظ، وترددت إليه، فأنا بعض الأيام في الطريق فإذا الرجل فسلم علي وقال: أما تعرفني ؟ أنا الذي لقيتك من مدة وقلت لك كذا وكذا، مضيت تلك الليلة فرأيت قائلا يقول لي: يقول لك فلان وسماني: أين قبر عبد الغني ؟ فتقول: ما قلت؟! وكرر القول علي، وقال: إن أراد الله بك خيرا فأنت تكون على ما هو عليه، ثم قال: فلو كنت أعرف منزلك لاتيتك". [3]

---

(1) ابن رجب، ذيل، 1/393- 396.

(2) الذهبي، سير، 21/ 469.

(3) الذهبي، سير، 21/ 468-469.

وذكر أبو موسى ابن الحافظ، حدثني صنيعة الملك هبة الله بن حيدرة قال: "لما خرجت للصلاة على الحافظ لقيني هذا المغربي فقال: أنا غريب، رأيت البارحة كأني في أرض بها قوم عليهم ثياب بيض، فقلت ما هؤلاء ؟ قيل: ملائكة السماء نزلوا لموت الحافظ عبد الغني، فقلت: وأين هو ؟ فقيل لي: اقعد عند الجامع حتى يخرج صنيعة الملك فامض معه، قال: فلقيته واقفا عند الجامع". (1)

وقال الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الغني سنة اثنتي عشرة: "رأيت البارحة أخاك الكمال عبد الرحيم – مكان توفي تلك السنة – في النوم، فقلت: يا فلان أين أنت ؟ قال: في جنة عدن، فقلت: أيما أفضل الحافظ أو الشيخ أبو عمر ؟ فقال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي تحت العرش، ويقرأ عليه الحديث، وينثر عليه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه، وكان في كمه شيء، وقد أمسك بيده على رأسها". (2)

وقال الشيخ عبد الله بن حسن بن محمد الكردي بحران: " قرأت في رمضان ثلاثين ختمة، وجعلت ثواب عشر منها للحافظ عبد الغني، فقلت في نفسي: ترى يصل هذا إليه ؟ فرأيت في النوم كأن عندي ثلاثة أطباق رطب، فجاء الحافظ وأخذ واحدا منها".

ورأيته مرة فقلت: أليس قد مت ؟ قال: إن الله بقى علي وردي من الصلاة، أو نحو هذا. "

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمود البعلي: "جاء قوم من التجار إلى الشيخ العماد– وأنا عنده– فحدثوه أن النور يرى على قبر الحافظ عبد الغني كل ليلة أو كل ليلة جمعة". (3)

---

(1) ابن رجب، ذيل، 396/1.

(2) ابن رجب، ذيل، 397/1.

(3) ابن رجب، ذيل، 396/1.

قال: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الله الكردي- بحران-: "رأيت الحافظ في المنام، فقلت له: يا سيدي، أليس قدمِت؟ فقال: إن الله عز وجل بقى عليَّ وردى من الصلاة".

سمعت عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن سرور يحدث عن الشيخ الزاهد عبد الرحمن عشم المقري عن وجل حدثه بمصر- وكان يبغض الحافظ- "أنه رأى قائلاً يقول له في المنام: إن أراد الله بك خيراً فأِنت تكون على ما هو عليه. وقال: الحافظ عبد الغني يدخل الجنة بعد النبي (ﷺ)، أو قال: على أثر النبي (ﷺ)".

وقال وسمعت الإمام عبد الساتر بن يوسف بن علي العجمي: "رأيت في المنام كأن أصحابنا في الجنة وأنا معهم. قلت: مثل من؟ قال: مثل الشيخ أبي عمر، والموفق، والحافظ. وكأن النار قد أقبلت ولها قتام وظلام، وهي تقرب إلينا حتى كادت أن تصل إلينا، فقال قائل: يا حافظ، اخرج إليها، فخرج الحافظ- رجل طويل فيه سمرة، ووصفه بجميع صفته، قال: ولم أبصر الحافظ قط- ومعه نهر مثل نهر يزيد ثلاث مرات، فبقي يجيء منها حجارة، فتقع في ذلك النهر فتطفى، وتبقى مثل الطواحين السود".

وقال ابنه أبو موسى، حدثني رجل من أصحابنا قال: "رأيت الحافظ في النوم يمشي مستعجلا، فقلت: إلى أين؟ فقال: ازور النبي (ﷺ) فقلت: أين هو؟ قال: في المسجد الأقصى، فإذ النبي (ﷺ) وعنده أصحابه، لما رأى الحافظ قام له النبي (ﷺ)، وأجلسه إلى جانبه، قال: فبقي الحافظ يشكوا إليه ما لقي، ويبكي ويقول: يا رسول الله، كذبت في الحديث الفلاني، والحديث الفلاني؟ والنبي (ﷺ) يقول: صدقت ياعبد الغني، صدقت ياعبد الغني". [1]

(1) ابن رجب، ذيل، 1/ 384.

وقد ذكر الضياء غير ذلك من المنامات المرئية له في حياته وبعد مماته.[1]

(1) ابن رجب، ذيل، 397/1.

Al-Hafidh Abdul-Ghani bin Abdul-Wahid Al-Maqdisi (His Life and Ordeal)

Dr. Hanaa Salem Thaei

Abstract

The prophets and messengers are leading the humankind. After them come their companions and missionaries, and then, their followers till the day of resurrection. One of those followers is Al-Hafidh Abdul-Ghani bin Abdul-Wahid. He is regarded one of the modernizers in the 6^{th} and 7^{th} centuries of Al-Hegira and he left a clear impression on Al-Hadith science. He differs from his contemporary modernizers in following the Islamic Law that is derived from the Glorious Qur'an and Sunna. He is Salafi who follows Al-Hanbali's creed. He had a strong personality with veneration and dignity.